عنوان الخطبة	روافد الفكر القبوريِ (١)
عناصر الخطبة	١/توحيد الله هو الحكمة من خلق الناس ٢/من عوامل بقاء الفكر القبوري ٣/نماذج لتعظيم بعض الحكام للقبور واهتمامهم بها
الشيخ	ماجد الرسي
عدد الصفحات	٩

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أيها المسلمون: اتقوا الله -تعالى- وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أنه -تعالى- خلق الخلق ليعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، كما قال -تعالى-: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**)[الذاريات: ٥٦]، وأرسل الرسل لذلك قال: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**

فَاعْبُدُونِ)[الأنبياء: ٢٥]، ونهى عباده عن أن يشركوا معه في عبادته أحدًا غيره فقال: (**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**)[الزمر: ٦٥ - ٦٦]، وبين لنا أن الشرك أعظم الذنوب فقال: (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**)[النساء: ٤٨].

أيها المؤمنون: تقدم في الخطب الماضية بيان بعض مظاهر إهانة القبور، والتي يجب العلم بها، واليوم نتكلم بما يسر الله عن أسباب بقاء وانتشار الفكر القبوري في الأمة الإسلامية.

عباد الله: لقد نَـخـرَ الفِكر القبوري في جسد الأمة الإسلامية لعدة قرون، وقد كان لهذا النَّـخر أحد عشر رافدًا، أولها:
الانتفاع المادي من قِبل سدنة القبور -وهم خُدامها والمُتَوَلُّون أمورها-، وأهل البلد التي فيها قبور معظمة، وكذا خِزانات بعض الدول، أما السدنة فإن عوائد القبور عليهم تعتبر مصدرا أساسيا للرزق عندهم، فالألوف من سدنة القبور تُصرف لهم إعانات مادية من وزارات الأوقاف والشؤون الاجتماعية كما يُصرف لغيرهم من أصحاب الوظائف الدينية كالقضاة والمدرسين وأئمة المساجد.

وهناك موارد أخرى غير رسمية تدخل عليهم من وراء رعايتهم وخدمتهم للقبور، فالنذور والصدقات التي تُدفع لتلك القبور من قِبل زُوَّارها الذين يأتونها من كل فج، تعتبر دافعًا هامًّا من دوافع استمرار السدنة في تلك الوظائف، ناهيك عن الذبائح والأنعام التي تُساق إلى هناك، وصدق الشاعر الكبير حافظ إبراهيم -رحمه الله- حين قال:

أحياؤنا لا يُرزقون بدرهمٍ *** وبألفِ ألفٍ يُرزق الأمواتُ
مَن لي بحظِّ النائمين بحفرةٍ *** قامت على أحجارها الصَّلَواتُ

أما عند تغيير كسوة الضريح وعِمامة الولي مثلًا، فالسَّدنة يقومون بعملية تجارية غير رسمية؛ فإنهم يمزقون الكسوة والعمامة القديمتين إلى قُصاصات صغيرة، ثم يبيعون هذه القصاصات نظير مبالغ كبيرة، ولستُ بمفشٍ سرًّا إن قلت: إن بعض سدنة القبور من أغنى الناس في تلك البلاد.

عباد الله: هذا التحصيل للأموال من قِبَل السدنة يكون في سائر أيام السنة، أما في أيام الموالد التي تقام تكريمًا لأصحاب تلك القبور والأضرحة فلا تسأل عن استفادة أهل

تلك البلد من غير السدنة من الحركة التجارية التي ليس لها نظير في موسم المولد؛ فالمطاعم والمقاهي تَستقبل رُوَّادها على مدار الساعة، ومَبيعات البخور والعطور -المستعمل لتطييب الضريح- يَصل إلى أعلى معدلاته، وكذا غيرُهم من التجار يستفيدون بما يدخل عليهم من ريع الإيجارات وبيع السلع للزوار والسُّياح والحُجَّاج، حتى إن بعض التجار يُعلقون أداء ديونهم على موسم المولد، بل إن صناديق النذور والأوقاف التي تُوقف على تلك القبور تعتبر أحد الموارد الاقتصادية لبعض الدول التي فيها جمعٌ من تلك الأضرحة.

أيها المسلمون: ومن عوامل بقاء الفكر القبوري العامل الثاني: وهو الانتفاع المعنوي المتمثل بالوَجاهة والشرف، اللذين يتمتع بهما القائمون على قبور الأولياء من السدنة ونحوهم، فخادم الضريح له مكانة ووجاهة بما تشرَّف به من خدمة الضريح، وبما انتقل إليه من بركة صاحب الضريح، بسبب مجاورته لذاك الميت ورضاه عنه، بل ربما تَمَسَّح بذلك الخادم بعض الزوار لنيل البركة!.

ومن العجائب أن وجود الأضرحة في بعض المجتمعات ربما كان سببًا للفخر على مستوى البلد، فأهل البلد التي فيها قبور

ربما افتخروا بكثرة قبور الأولياء عندهم على من ليس عندهم قبور أو أقل منهم.

والحق أن وجود قبور الصالحين في بلد ما لا يُعدُّ مفخرة في دين الإسلام، ولو كان الأمر كذلك لافتخر الصحابة في المدينة على مَن هم بخارجها بوجود القبر النبوي فيها، وقبور الصحابة والتابعين وشهداء أُحُد التي تُعد بالألوف، ولكن لم يكن من ذلك شيء، بل إنهم لم يتعرضوا للقبر النبوي ولا غيره من القبور بشيء إطلاقًا، لا خدمة ولا كسوة ولا غير ذلك، مع كونهم هم أعرف الناس بحقوق النبي -صلى الله عليه وسلم- وحقوق الصحابة، وهم أفضل الأمة إلى قيام الساعة.

أيها المؤمنون: ومن عوامل بقاء الفكر القبوري العامل الثالث: وهو تعظيم بعض الحُكَّام للقبور، ولا يخفى ما لِولاة الأمر من صلاحية ونفوذ لنصرة الحق أو الباطل إلا ما شاء الله، ومِن أولئك الحكام الذين عَظَّموا القبور وشَيَّدوها عبيد الله بن السري بن الحكم والي الأمويين على مصر، فإنه أول من بنى ضريحًا على قبر السيدة نفيسة بالقاهرة.

وأما السلطان قلاوون الصالحي فهو أول مَن أنشأ قبة على قبر النبي -ﷺ-، وكان ذلك في سنة ٦٧٨هـ، أما الدولة العثمانية، فقد فاقت مَصْرُوفاتها على ضريح الجيلاني في السنة الواحدة ما كانت تصرفه على الحرمين الشريفين أضعافًا مضاعفة، والعثمانيون -كما هو معلوم- اعتنقوا الإسلام على يد مشايخ الطرق الصوفية قبل استقرارهم في آسيا الصغرى، وهم أصحاب الدَّعم القوي للغلو في القبور.

وعلى الجانب الآخر، فلِوُلاة التوحيد شأن آخر مع تعظيم القبور، ومن ذلك ما كتبه الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى سليمان باشا -من ولاة الدولة العثمانية-، قال فيه: "وقد رأينا لمَّا فتحنا الحجرة الشريفة على ساكنها -أفضل الصلاة والسلام- عام اثنين وعشرين رسالة لسلطانكم سليم، أرسلها ابن عمه إلى رسول الله -ﷺ- يستغيث به ويدعوه، ويسأله النصر على الأعداء من النصارى وغيرهم، وفيها من الذل والخضوع والعبادة والخشوع ما يشهد بكذبكم.

وأولها: "من عُبَيدِك السلطان سليم وبعد: يا رسول الله، قد نالنا الضر، ونزل بنا من المكروه ما لا نَقدر على دفعه، واستولى عُبَّاد الصلبان على عُبَّاد الرحمٰن، نسألك النصر

عليهم والعون عليهم، وأن تكسرهم عنا"، وذكر كلامًا كثيرًا هذا معناه وحاصله".

وهكذا بعض سلاطين دولة المماليك، فالسلطان قايتباي مثلًا كان كثير الإعجاب بالبدوي والاعتقاد فيه، وقد زار ضريحه عام ٨٨٨ هجري، ووسَّع في مقامه، وشَّيد له المباني العظيمة، وقد كان السلطان قايتباي هذا يعتقد في الشيوخ والأولياء عامة، وكان كثير الانجذاب إليهم والإقبال عليهم.

وفي المغرب عندما تولى السلطان الحسن بن محمد (المتوفى سنة ١٣١١هـ) مقاليد الحكم في بلاده، سارع إلى تقديم الذبائح إلى الضريح الإدريسي.

وقد كان لسلاطين اليمن القدماء قَصَبُ السبق في هذا، فالإمام عبد الله بن حمزة الذي عاش في آخر القرن السادس وأوائل القرن السابع، هو أول من سَنَّ لحكام الزيدية سُـنَّة البناء على المشاهد، ولم يُسجل لأحد قبله شيء من هذا، وأول قبة بنيت في حضرموت هي قبة السلطان مسعود بن يماني المتوفى سنة ٦٤٨هـ.

ومُعظم المشاهد المعظمة في الديار الزيدية هي للأئمة وحواشيهم، وقلَّ أن تجد مشهدًا لرجل فقير أو ضعيف، ولا حول ولا قوة إلا بالله، جعلوا الدين مطية للأطماع الشخصية.

عباد الله: وكذلك سلاطين الدولة الأيوبية -وهم معاصرون للدولة الزيدية ومنافسون لهم-، دُفن معظم سلاطينها في قِباب خاصة، وعلى أنقاض الدولة الأيوبية جاءت الدولة الرسولية المنسوبة إلى مؤسسها نور الدين عمر بن علي بن رسول (٦٤٧ هـ)، الذين رسَّخوا القبور في اليمن خلال قبور سلاطينهم، وتبَنَّوا بناء بعض المشاهد على قبور من يُعتقد فيهم الصلاح، كمشهد أحمد بن علوان.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد: فاتقوا الله -عباد الله-، واعلموا أن الله -سبحانه وتعالى- أمركم بأمر عظيم فقال: (**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**)[الأحزاب: ٥٦]، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض عن أصحابه الخلفاء، وارض عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين، اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والربا والزنا، والزلازل والمحن وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا خاصة، وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

(**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

ص.ب 156528 الرياض 11788
+966 555 33 222 4
info@khutabaa.com
khutabaa.com